


المنظومة
ALMANDUMAH

قيم الإسلام في أدب السيرة النبوية
محمد حسين هيكل وكارين آرمسترونج
دراسة مقارنة

د/يمنى رجب إبراهيم
أستاذ مساعد النقد الأدبي والأدب المقارن
قسم اللغة العربية
كلية البنات- جامعة عين شمس

قيم الإسلام في السيرة النبوية

محمد حسين هيكل وكارين آرمسترونج

دراسة مقارنة

يركز البحث دراسته المقارنة على عدد من القيم الإسلامية المتمثلة في شخص رسولنا الكريم :

محمد صلى الله عليه وسلم .ومثال ذلك قيم : الصبر ، والكفاح ، والتواضع . والتي تعرض لدراستها والكتابة عنها العديد من المؤلفين : العرب والغرب .

وقد اختار البحث للدراسة المقارنة مؤلفين أحدهما عربي وهو : محمد حسين هيكل . والآخر غربي وهي الإنجليزية : كارين آرمسترونج .

وذلك في عدد من الكتابات حول النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وتقوم المقارنة على بيان وجهة النظر الصحيحة في المؤلفات محل الدراسة .

الكلمات المفتاحية :

الرسول صلى الله عليه وسلم – قيم الإسلام – الكفاح – الصبر – الجهاد – مقارنة .

المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين : **محمد** النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين . أمابعد

فتمثل القيم الأساس الأول الذي تقوم عليه الأديان السماوية . فقد أرسل الله سبحانه ، الرسل لهداية البشر إلى الصراط المستقيم . وأمرهم بما ينفعهم في حياتهم وآخرتهم . إذ لابد للدول والحضارات العريقة من قيم ومعتقدات تهتدي بها فتكون سبيلا لارتقائها ورفعتها .

وعلى مر الزمن كان لكل ديانة نبي مرسل تتجسد في شمائله وخصاله قيم الدين الذي يدعو إليه. وفي شخص رسولنا الكريم : **محمد (** صلى الله عليه وسلم) تجسدت قيم الإسلام السمحة . فلا أقل من أن تصفه السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها : (كان خلقه القرآن) . إنه تجسيد حي لما أوحى الله به من أوامر ونواه ضمها الكتاب المنزل (القرآن) معجزة السماء رفيعة المستوى والبرهان .قال الشاعر:

محمد صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسم

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم لحمل الرسالة السماوية الخاتمة ، الدين الهادي للبشرية جمعاء . والاصطفاء : الاختيار . قال تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) . لذا جاء النبي الكريم مثالا رفيعا في حسن الخصال . لقد حفظه الله سبحانه من معايب الجاهلية وآفاتها . فاجتمعت فيه صفات الطهر والعفة التي لم يجمعها الله في إنسان كما جمعها فيه .

لقد حماه ربه من (الجاهلية) أي تلك الحالة العقلية والروحية التي عاشها المجتمع العربي حينئذ ، والتي تعيشها العديد من المجتمعات في عصرنا الحاضر ، رغم التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يسارع الخطى نحو المستقبل .

لقد أسس **رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) أمة الإسلام على قيم دينية ثابتة وراسخة ، تمسك بها المسلمون أزمنة عديدة فكانت طريقهم إلى الرقي والرفعة . وشهد لهم العالم أجمع بالتقدم الحضاري ، والعلمي ، والاجتماعي . كما كانت تلك القيم العقدية علاجا للعديد من الاضطرابات النفسية المنتشرة حاليا .

وقد خصص العديد من المؤلفين : علماء الدين ، ثم الأدباء والفلاسفة في الشرق والغرب ، بعضا من مؤلفاتهم للبحث في السيرة النبوية ، استشرافا لتلك القيم وسعيا وراء ذلك المعين النبوي الذي لاينضب ، هاديا لمن أراد الهداية .

فمن هؤلاء : ابن اسحاق ،وابن قيم الجوزية ،وابن هشام ،وابن كثير ،والمباركفوري ،وغيرهم .ومن الأدباء والمفكرين المحدثين على سبيل المثال : العقاد، وطه حسين ،والحكيم ، وشوقي ضيف .ومن الغرب : توماس كارليل ،وجورج برنارد شو ، وتولستوي،وغيرهم.

ويهتم البحث بعملية المقارنة لأفكار كلٍّ من (**كارين آرمسترونج**)وهي مؤلفة إنجليزية ولدت عام :١٩٤٤ وهي أكاديمية مهتمة بدراسة الديانات ومقارنتها ،وتتميز بالوسطية في حديثها عن الإسلام والنبي **محمد** صلى الله عليه وسلم . وقد كتبت في سيرة **الرسول** كتابين هما :

- **محمد** صلى الله عليه وسلم نبي لزماننا .
- سيرة النبي **محمد** صلى الله عليه وسلم .

و(**محمد** حسين **هيكل**) الأديب المصري الذي ولد عام :١٨٨٨ ،وتوفي عام : ١٩٥٦وقد كتب أيضاً كتابين عن **الرسول** ﷺ :

- في منزل الوحي .
- حياة **محمد** .

وقد ركَّز البحث على مقارنة أفكار المؤلفين في كتابين هما :

- **محمد** نبي لزماننا لـ **كارين آرمسترونج** .
- حياة **محمد** لـ **محمد** حسين **هيكل** .

وقد قام البحث على منهج المقارنة بين آراء المؤلفين حول سيرة **الرسول** الكريم (ص) والقيم الدينية المتجسدة فيه ، مؤكدا على ما يتميز به أسلوبهما الأدبي في سرد أحداث السيرة النبوية من جمال ورقي.

وتتضح أهمية المناقشة لآراء المستشرقين حول **الرسول** الكريم من نواح عدة :

- ففيه ﷺيتجسد الدين الإسلامي بكل قيمه ومبادئه .
- وحوله ﷺتجتمع معالم الأمة الإسلامية .

ولا يخفى عن العلم أن بين تلك الآراء الاستشراقية ما هو مغلوط أو مناف للحقيقة . من هنا يصبح البحث في ذلك الأمر واجبا ملحا .

وقد حددت مجال البحث في ثلاث قيم هي :

- الكفاح في سبيل الدعوة .
- العدل والتسامح والسلام .
- تكريم المرأة .

وقد اخترت تلك القيم على وجه الخصوص لما لها من أثر في المجتمعات الشرقية والغربية خاصة في عصرنا الحاضر. كما أنها مرتبطة بقضايا حداثية مهمة مثل : الإسلاموفوبيا ، والعنصرية ، والتعايش والمساواة ،ومكانة المرأة في المجتمع . وهي قضايا طالما اتهم المستشرقون فيها المسلمين ، واعتبروها مثالب تؤخذ عليهم .

لكن الدراسة لحياة **الرسول**(صلى الله عليه وسلم) وصفاته الخلقية تنفي ذلك وتؤكد ما بني عليه الدين الإسلامي من قيم السماحة والسلام .

وأرجو أن أكون قد وفقت في عرض تلك الأفكار.والله الموفق .

تمهيد

ينبغي التمهيد للحديث عن **الرسول** صلى الله عليه وسلم وبعثته النبوية، بتصوير موجز لحال جزيرة العرب قبل الإسلام. والمكان هو (مكة) التي " بلغت نجاحاً مذهلاً حيث أصبحت مركز تجارة دولي" ([1]). وهو عكس ما يذكره مايكل هارت في كتابه **(محمد أعظم الخالدين)** : " ولد في منطقة بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة " ([2]). والجاهلية هنا " لا تشير إلى الزمن التاريخي وإنما إلى حالة من العقل التي تسبب العنف والإرهاب " ([3]). والتي تؤكد **كارين آرمسترونج** أنها ذات الحالة التي يعيشها المجتمع الغربي اليوم. يقول الغزالي : " من الخطأ أن تحسب مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران في صحراء موحشة إنما شبعت حتى بطرت وتنازعت الكبرياء حتى تطاحنت عليها وبلغ غرور الفرد مداه " ([4]) . وهو إرهاص قوي بما يحدث بعد ذلك ويترتب عليه. فقد تسبب ذلك في حالة عامة شملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وقد عُرف العرب البدو أنهم كانوا لا يميلون إلى المخاطرة بالتجارب الجديدة أو الأفكار المستحدثة. وقد طال الزمن بعد (عيسى عليه السلام) ولم يُبْعث نبي، وتطلع الكثيرون إلى هذا المقام .. لكن القدر الأعلى تجاوز أولئك المتطلعين وألقى بالأمانة الكبرى على رجل لم يتطلع إليها ولم يفكر فيها ([5]) .

قال تعالى: **"وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ"**([6]).

لقد كانت الأمة العربية في حاجة إلى رسولٍ مبلغ، يهدي إلى الصراط المستقيم وسط ما كان يحدث من جهالات وضلالات بلغت مداها .

يقول الغزالي : " إن عرام الشهوات الذي نسمع عنه في باريس وهوليود لا يزيد كثيراً عما وعته القرون الخالية من مفاسد الإنسان على ظهر الأرض " ([7]) .

وهكذا ولد **رسول الله** ﷺ : في مكة في يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، عام ٥٧٠م([8]) .

واسمه صلى الله علية وسلم : **محمد** بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن شيبة، بن هاشم، بن عمرو، بن عبد مناف، المغيرة بن قصي بن كلاب بن مسرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، بن مدركة ... وينتهي نسبه إلى آدم عليه السلام ([9]) .

والده : عبد الله بن عبد المطلب، وأمه : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ([10]) .

وقد كان مولده صلى الله علية وسلم رحمة للأمة الإسلامية، فقد انتهى بميلاده عهد الضلال والحيرة، وبدأ عهد جديد من الطهر والعفاف. وقد عُرِف **رسول الله** صلى الله علية وسلم منذ حداثة سنه بصفات أكدّت فيه ملامح النبوة. فقد عُرِف برفقه وصدقه فلقبته قريش بالصادق الأمين

([1]) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ترجمة : فاتن الزلباني : ٢٨ الشروق الدولية : ٢٠٠٨ .
(٢) محمد أعظم الخالدين : مايكل هارت : ترجمة أنيس منصور : ٧ وهو الاسم الذي أطلقه المترجم على الكتاب والعنوان الأصلي : الخالدون مئة، نهضة مصر : ٢٠١٢ .
(٣) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٢٦ .
(٤) فقه السيرة : محمد الغزالي : ٣١ دار الدعوة : ١٩٨٩ .
(٥) انظر : المرجع السابق : ٣٤ .
(٦) القرآن الكريم : سورة القصص : آية : ٨٦ .
(٧) فقه السيرة : محمد الغزالي : ٣٠ .
(٨) انظر : حياة محمد : محمد حسين هيكل : ١٢٦ : الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٢٠١٢ .
(٩) السيرة النبوية : ابن هشام : تحقيق : محمد فهمي السرجاني : المجلد الأول : ٦ : المكتبة التوفيقية .
(١٠) المرجع السابق : ٧٦ .

(1). يقول كروث إيرنانديث : كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم شابا عاملاً ومكافحاً وشريفاً " (2) .

ومن علامات رضا الله عنه صلى الله علية وسلم وإبعاده عن كل ما يلهي أنه كان يرعى الغنم مع زميل له فحدثته نفسه يوماً أن يلهو كما يلهو الشباب، فأفضى إلى زميله هذا ذات مساء أنه يود أن يهبط بمكة وطلب إليه أن يقوم على حراسة غنمه، ووجد عُرساً في أعلى مكة استرعى انتباهه ثم ما لبث أن نام ولم يشاهد أو يسمع شيئاً منه صلوات الله عليه وسلامه (3) .

وترى **كارين** أن **الرسول** صلى الله علية وسلم " لم يشجب في البداية عبادة الأصنام حول الكعبة، ولم يكن ذا اهتمام بالغ بالآراء العقائدية "(4). كيف ذلك ودعوته صلى الله علية وسلم الأساسية رفْض لعبادة الأصنام، وقد كان كارهاً لها. إن دعوته قائمة على عبادة الله الواحد القهار. ويبدو التناقض واضحاً حين تذكر المؤلفة مهاجمة **محمد** صلى الله علية وسلم لأصنام الكعبة (5) .

وقد جاءت في الأسفار اليهودية، ومنها سفر (ملاخي) النبوءة بمجئ **الرسول** صلى الله علية وسلم عن طريق اللفظ باسم (حِمْدَه). يقول عبد الأحد داود : " إن العلاقة والتشابه بين كلمتي (حمده) و (أحمد) وبين جذر الكلمة (ح م د) التي اشتقتا منها لا تترك أدنى شك بأن الفاعل في عبارة (وسوف يأتي حمده لكل الأمم) إنما هو **محمد** صلى الله علية وسلم " (6) .

وقد ورد في التوراة : " قال موسى عليه السلام : رب إني أجد في التوراة أمة هم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، فاجعلهم أمتي. قال : تلك أمة **محمد** " (7) .

ومن أسمائه صلى الله علية وسلم : أحمد، الماحي الذي يمحو الله به الكفر، والعاقب الذي ليس بعده نبي، المقفى، نبي الرحمة، نبي التوبة، الفاتح، طه، يس، خاتم النبيين. ويكنى : أبا القاسم، أبا إبراهيم. وغيرها (8).

وينبغي علينا أن نؤكد أن " جانباً كبيراً من نجاح الدعوة الإسلامية كان يرجع إلى شخصية المبعوث بتلك الرسالة الجديدة، الذي اصطفته الإرادة الإلهية لكي يكون آخر من يحمل كلمة السماء إلى الأرض " (9). لقد كان خلقه القرآن. قال تعالى : **" وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "** (10) .

الكفاح والصبر في سبيل الدعوة :

---

(١) حضارة العرب : غوستاف لوبون : ترجمة : عادل زعيتر : ١٠٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٢ .

(٢) تاريخ الفكر في العالم الإسلامي : كروث إيرنانديث : ترجمة : عبد العال صالح : ج١: ٦٧ المركز القومي للترجمة:٢٠٠٩ .

(٣) انظر حياة محمد : محمد حسين هيكل : ١٣٦ وما بعدها .

(٤) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٦٢ .

(٥) انظر : المرجع السابق : ٦٧ .

(٦) محمد ρ : كما ورد في كتاب اليهود والنصارى: عبد الأحد داود: ترجمة: محمد فاروق الزين: ٥٠-٥١: العبيكان : ٢٠١٠.

(٧) المعجزات الأحمدية : بديع الزمان النورسي : ترجمة : إحسان قاسم الصالحي : ١٧٨ : شركة سوزلي للنشر : ٢٠٠٩ .

(٨) النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني : ٢١٥ : مكة المكرمة : ١٩٨٠ .

(٩) المدائح النبوية : محمود علي مكي : ٢ : لونجمان : ١٩٩١ .

(١٠) القرآن الكريم : سورة القلم : آية : ٤ .

بدأ كفاح **الرسول** صلى الله علية وسلم منذ صغره، فقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره. وكانت نشأته في ظروف صعبة ([١]). وعمل **رسول الله** في رعي الغنم ورحلات التجارة " وهي ليست بالحياة التي تُدرّ على صاحبها أخلاف الرزق أو تفتح أمامه أبواب اليسار. وما كان **محمد** صلى الله علية وسلم يهتم لذلك أو يُعْنى به. وقد ظل طوال حياته أشد الناس زهداً في المادة ورغبة عنها " ([٢]). يقول الغزالي : " كما ثبت أيضاً أن عدداً من الأنبياء اشتغل برعايتها، أترى ذلك تعويداً لهم على سياسة العامة والرفق بالضعفاء والسهر على حمايتهم ؟ " ([٣]) .

وقد كانت بداية الدعوة عملية صعبة محفوفة بالمخاطر والقلق والتهديد، فقد كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم يحارب ضد الأفكار القديمة البالية. كان يتعامل وحده مع جزيرة العرب مع ما فيها من خليط : العرب، واليهود، والنصارى ولكلٍ ديانته ومعتقداته .

وبدأت عملية الوحي بالتدريج فقد أحب **رسول الله** العزلة والتحنث للتأمل والتفكير. لقد كان يتعبد في غار حراء في كل عام في شهر رمضان. وقد وجد في غار حراء " خير ما يمكنه من الإمعان فيما شغلت به نفسه من التفكير والتأمل ... وكان ينسى نفسه وطعامه وكل ما في الحياة"([٤]).

وتشبه **كارين آرمسترونج** تأمل **الرسول** صلى الله علية وسلم بـ " طريقة غوص الشاعر في أعماق نفسه بحثاً عن مستوى الإدراك في عقله " ([٥]). وشتان بين الجانبين. إن تأمل **الرسول** صلى الله علية وسلم تأمل ديني روحاني ابتغاءً للحقيقة، ووصولاً إلى الدين القيم، إنه تأمل نبي مرسل من عند ربه برسالة سماوية طاهرة ومطهرة، ولا يقارن أبداً بما يفعله الشعراء. قال تعالى : **" وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ "** .

يقول ابن هشام : " كان **رسول الله** يتحنث في كل سنة شهر رمضان، حتى إذا جاء الوقت المعلوم جاءه جبريل وقال له : اقرأ. وحكى **رسول الله** للسيدة خديجة رضي الله عنها ما حدث فقالت : أبشر يا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة " ([٦]). وكان **رسول الله** صلى الله علية وسلم يرى في نومه الرؤيا الصادقة التي تطابق الواقع وهي مرحلة من المراحل الممهدة لنزول الوحي وهو في أثناء ذلك يطيل التأمل والزهد في غار حراء. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: " أول ما بدئ **رسول الله** من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم.. ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد.. حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له : اقرأ" ([٧]). يقول الغزالي : " إن القدرة التي خلقت هذا الإنسان العجيب من علقة، هي التي ستنساق بنعمة الله إلى جعل **محمد** بشراً رسولاً يقرأ بعد ما كان أمياً"([٨]) .

ونزل الوحي على **رسول الله** صلى الله علية وسلم، وقد كان يتطلب جهداً شديداً. يقول **هيكل** : " حين نزل عليه الوحي أول مرة شعر **الرسول** صلى الله علية وسلم برهبة حين حاول جبريل عليه السلام أن يقرأه ثلاث مرات سورة العلق " ([٩]). وتقول **كارين** : " عملية تلقيه للوحي

---

(١) محمد أعظم الخالدين : مايكل هارت : ترجمة : أنيس منصور : ٧ .
(٢) حياة محمد : محمد حسين هيكل : ١٣٦
(٣) فقه السيرة : محمد الغزالي : ٧٩ .
(٤) حياة محمد : محمد حسين هيكل : ١٤٧
(٥) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ترجمة : فاتن الزلباني : ٥٢ .
(٦) السيرة النبوية : ابن هشام : تحقيق : السرجاني : ج ١ : ١٧٣ .
(٧) فقه السيرة : محمد الغزالي : ١٠١ .
(٨) المرجع السابق : ١٠٠ .
(٩) حياة محمد : هيكل : ١٤٨ .

كانت شديدة فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها : أن **رسول الله** صلى الله علية وسلم كان يجد برداً في ثناياه ويعرق عرقاً شديداً ويتغير وجهه ". ويرى كل من **هيكل** و**كارين** أن عملية الوحي كانت أثناء نوم **الرسول** صلى الله علية وسلم، ولكنها كانت في الحقيقة واليقظة .

وتصوّر هذه الفترة الدقيقة مدى ما عانى **رسول الله** صلى الله علية وسلم في سبيل تحمل الرسالة حيث يقول **هيكل** : " رجع **محمد** صلى الله علية وسلم ممتلئاً بما أوحي إليه وفؤاده يرجف وقلبه يضطرب خوفاً وهلعاً، ودخل على خديجة وهو يقول : زملوني "([١]). لقد كافح **الرسول** صلى الله علية وسلم في سبيل تغيير المفاهيم. ومن ذلك مسألة الحساب والعقاب تقول **كارين** : " إن قريشاً لم تعد تشعر بمسؤولية حسابها عن أفعالها.. بدت وكأنها لا تدرك التبعات الطويلة المفعول لأعمالها ولمواجهة تلك الغفلة علَّم القرآن الناس أن الله سوف يحاسبهم على أفعالهم في يوم الدين " ([٢]) .

إن الإيمان الحق في نظر **الرسول محمد** صلى الله علية وسلم كما هو في نظر غيره من الرسل جميعاً إنما يجد المحك الصادق في السجايا والأعمال ([٣]) .

ومن ذلك أيضاً الكفاح ضد صفة التكبر التي غلبت على القرشيين. تقول **كارين** : " إذا عرفوا حاجتهم إلى الله في كل لحظة في حياتهم لقدَّروا هشاشتهم، ولروَّعتهم عجائب الله وهذَّبت كبرياءهم، ولتخلوا عن غطرسة استغنائهم بأنفسهم " ([٤]). وذلك عن طريق السجود في الصلاة لله تعالى : " تلك الحركة الجسدية ترمز إلى التسليم التام لله، إنها علَّمت أجسادهم بمستوى أعمق من العقلاني أن تنحي جانباً الدوافع الشخصية للتفاخر والتبختر .. أصبح المسلم يسجد بإذعانٍ ويفخر بأنه عبد الله " ([٥]) .

<u>الجهر بالدعوة :</u>

وفي عام ٦١٣م أذن الله سبحانه وتعالى للرسول بالجهر بالدعوة ([٦]). وقد جاء الأمر بالدعوة في سورة المدثر: **"يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ "** ([٧]). وأول من آمن به كانت السيدة خديجة رضي الله عنها " وكان طبيعياً أن تسارع إلى الإيمان به، وقد جرَّبت عليه طول حياته الأمانة والصدق ،وعلو النفس، وحب البر ،والرحمة " ([٨]) .

ونزل قوله تعالى : **" وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ "** ([٩]). وقد روت عائشة أم المؤمنين أنه لما نزلت هذه الآية دعا **رسول الله** قريشاً فجعل ينادي : يابني فهر، يا بني عدي، وظل ينادي بطون قريش فاجتمعوا فمضى ينادي : يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار.. يافاطمة بنت **رسول الله** لا أغني عنك من الله شيئاً. وكانت الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله وإلى العمل الصالح ([١٠]) .

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٥٢ .
(٢) المرجع السابق : ٥٥ .
(٣) انظر : دراسات في حضارة الإسلام : هاملتون جب : ترجمة : إحسان عباس، محمود يوسف نجم، محمود زايد : ٢٢٨ : الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٢٠١١ .
(٤) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٥٨ .
(٥) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٦) محمد أعظم الخالدين : مايكل هارت : ترجمة : أنيس منصور : ٨ .
(٧) القرآن الكريم : سورة المدثر .
(٨) حياة محمد : هيكل : ١٥٢ .
(٩) القرآن الكريم : سورة الشعراء : آية : ٢١٤ .
(١٠) محمد خاتم المرسلين : شوقي ضيف : ٨٧ – ٨٨ : دار المعارف : ٢٠٠٩ .

وبدأت مرحلة جديدة من الكفاح الشاق في سبيل الدعوة والصبر على الأذى وقد تنوعت ألوان الأذى :

- اعتداء أبي جهل اللفظي على المسلمين وتشويه سمعتهم .
- ضرب المسلمين الضعفاء مثل : بلال .
- حبس العائلات شبابها الذي أسلم (١) .

وأهم من ذلك الاعتداء والتهديد للرسول صلى الله علية وسلم حتى لقد خيَّره عمه أبو طالب فردّ عليه بقوله : "ياعمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " .

وإنما ينم هذا الموقف عن شجاعة **الرسول** صلى الله علية وسلم وقوته في الحق. وفي تلك العبارة إعلان صريح لبدء الدفاع عن الدعوة الإسلامية والصبر في سبيلها .

وتنوعت أشكال الاعتداء على **رسول الله** صلى الله علية وسلم منها اجتراء أبي جهل على **الرسول** الكريم بالسب في الحرم مما كان سبباً في إسلام حمزة بن عبد المطلب عم **الرسول** دفاعاً عنه (٢). وتحاول **كارين** التشكيك في صبر **الرسول** صلى الله علية وسلم، تقول : " كان أمراً بالغ الصعوبة على المسلمين الذين نشؤوا بروح الجاهلية أن يمارسوا الحلم ويديروا خدهم الآخر، حتى **محمد** صلى الله علية وسلم كان يجاهد في بعض الأحيان ليتمالك نفسه " (٣). والمعلوم عن **الرسول** صلى الله علية وسلم هو قوة صبره وعفوه وحلمه. لقد كان آية في الصفح والصبر. يقول **هيكل** : " لقد دعاهم باللين والرفق وأجابوه نفوراً وشدة ولم ييأس ولم يستسلم " (٤) .

<u>عام الحزن :</u>

وكان عام الحزن ٦١٩م من أشد الفترات على **الرسول** صلى الله علية وسلم فقد مات اثنان من أكثر المناصرين له : زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبو طالب. وبلغت الأمور مداها فقد آذته قريش أشد الإيذاء :

- كانت أم جميل زوجة أبي لهب تلقي النجس أمام بيته، فيكتفي **رسول الله** بأن يزيله .
- كان أبو جهل يلقي عليه رحم الشاه المذبوحة أثناء صلاته، حتى بكت ابنته فاطمة رضي الله عنها لما رأت حال والدها وصبره صلى الله علية وسلم .

يقول **هيكل** : " لقد كان **محمد** صلى الله علية وسلم طالب هدى للذين يصيبونه بالأذى وتحرير لهم من ربقة الوثنية الوضيعة التي تنحدر بالنفس الإنسانية إلى خزي المذلة والهوان ... كان الأذى يصيبه، والشعراء يسبونه، وقريش تأتمر به فلا يزيده ذلك إلا صبراً وثباتاً على الدعوة " (٥) .

يقول الغزالي " إن الإسلام – من يوم بدئه – كان معركة يقودها الوحي .. وقد كانت رسالة **محمد** بن عبد الله أخطر ثورة عرفها العالم للتحرر العقلي والمادي " (٦) .

---

(١) انظر : محمد نبي لزماننا : ٧٣ وما بعدها .
(٢) انظر : محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٧٦ .
(٣) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٧٤ .
(٤) حياة محمد : هيكل : ١٤٠ .
(٥) حياة محمد : هيكل : ١٦٤ .
(٦) فقه السيرة : الغزالي : ٦٩ .

وتذكر **كارين** أن **الرسول** الكريم " جلس بمهانة خلف شجرة وكان على حافة اليأس "([1]). ولم يحدث ذلك للرسول صلى الله علية وسلم، بل كان صابراً ثابتاً على الحق .

واتفقت قريش على مقاطعة **الرسول** صلى الله علية وسلم وأصحابه في صحيفة لمدة ثلاث سنوات. واحتمى **محمد** وأهله وأصحابه خلالها في شعب من شعاب الجبل بظاهر مكة يعانون الحرمان ألواناً ولا يجدون في بعض الأحيان وسيلة إلى الطعام يدفعون به جوعهم ولم يكن يتاح لـ **محمد** صلى الله علية وسلم ولا للمسلمين الاختلاط بالناس والتحدث إليهم إلا في الأشهر الحرم " ([2]) .

حتى وهو في هذا الوقت الصعب والامتحان الهائل لطاقته البشرية كان يدعو الناس لدين الإسلام في الأشهر الحرم التي يتاح له فيها الاختلاط بالناس. وأي كفاح أقوى وأعظم من كفاح **رسول الله** صلى الله علية وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين المهتدي بهدى ربه. وبدأ **رسول الله** صلى الله علية وسلم يدعو خارج مكة، فذهب إلى الطائف لكنه وجد الإيذاء أشد. وحينها نزل جبريل عليه السلام في سحابة، وبعث الله ملك الجبال كي يطبق على قومه جبلين هما الأخشبين : أبو قبيس، وقعيقعان. ورفض **الرسول** الكريم ذلك وقال " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشْرك به شيئاً ". فقال ملك الجبال : " انت كما سماك ربك رؤوف رحيم ". " وهكذا كان النبي صلى الله علية وسلم صبوراً على احتمال الأذى والعذاب في سبيل الله رفيقاً بالناس حريصاً على هدايتهم لا يقابل السيئة بالسيئة وكان يعفو ويصبر " ([3]) .

وظل **رسول الله** صلى الله علية وسلم يعمل وثيق الصلة بالله ويصبر " إذا جاء موسم الحج واجتمع الناس، بادأ القبائل فدعاها إلى الحق الذي جاء به غير آبه أن تبدي القبائل الرغبة عنه.. فليصبر على آذاهم إن الله مع الصابرين " ([4]). إن **الرسول** صلى الله علية وسلم يأخذ بكل الأسباب الممكنة لنشر دعوة الحق مع أن الله هو الذي بعثه بالحق لكن **الرسول** الكريم لم يكسل، ولم يتواكل بل عمل واجتهد وأخذ بالأسباب .

يقول الغزالي : " إن استحقاق التأييد الأعلى لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه وتوفير وسائله " ([5]). ويقول : " ما كان **محمد** صلى الله علية وسلم رجل خيال يتيه في مذاهبه ثم يبني حياته ودعوته على الخرافة بل كان رجل حقائق، فإذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه وبذل في تهيئتها أقصى ما في طاقته من حذر وجهد .. إن **محمداً** وأصحابه تعلموا وعملوا وهم على كل شبر من الأرض يكافحون .. بل إنهم تعبوا أكثر مما تعب أعداؤهم وحملوا المغارم الباهظة في سبيل ربهم فكانوا في ميدان تنازع البقاء أولى بالرسوخ والتمكين " ([6]).

بيعة العقبة :

وقد كانت بيعة العقبة نوعاً من الكفاح فقد استمرت على مدار عامين. ففي موسم الحج أتى **الرسول** الكريم إلى سويد بن الصامت من المدينة المنورة ودعاه إلى الإسلام " وجاء فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف مع قريش على قومهم من الخزرج، وسمع بهم **محمد** صلى الله علية وسلم فأتاهم فجلس إليهم ودعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن " ([7]) .

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٨٤ .
(٢) حياة محمد : ١٩٦ .
(٣) السيرة النبوية في القرآن والسنة : دراسة تحليلية : القسم الأول : ٢٠٥ : رجب إبراهيم عبد العزيز : ١٩٩٠ .
(٤) حياة محمد : هيكل : ٢١١ .
(٥) فقه السيرة : الغزالي : ١٨٧ .
(٦) المرجع السابق : ٥٧ .
(٧) حياة محمد : هيكل : ٢١٣ .

وهناك اختلاف بين **كارين** و**هيكل** حول العدد الذي بايع النبي صلى الله علية وسلم. فعند **كارين** ستة أفراد في العام الأول ثم سبعة في العام الثاني. وعند **هيكل** اثنا عشر رجلاً في البيعة الأولى، وثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان في البيعة الثانية .

الهجرة إلى المدينة المنورة :

من كفاح **الرسول** صلى الله علية وسلم أخذه القرار بترك مكة. وتفسّر **كارين** كيفية الكفاح في عملية الهجرة إلى المدينة المنورة : " لم يكن هذا يتضمن مجرد تغيير العنوان إذ كان المسلمون على وشك أن يتركوا أهلهم ويقبلوا الحماية الدائمة من الغرباء ... الكلمة ذاتها (الهجرة) تعني قطعاً مؤلماً " ([1]).

لقد فكَّر **رسول الله** في الهجرة إلى المدينة المنورة لأسباب :

- زيادة عدد المسلمين في المدينة تدريجياً .
- هم لا يجدون من الأذى ما يلاقيه أصحابهم في مكة .
- يثرب في رخاء أكثر من مكة .

" أوليس من الخير أن يهاجر المسلمون المكيون إلى أخوانهم هناك ليجدوا عندهم أمناً وليسلموا من فتنة قريش إياهم عن دينهم " ([2]). وتخطئ **كارين** حين تقول إن القرآن الكريم قد تبنى الاسم الآرامي الذي أعطاه اليهود لمستوطنة يثرب (المدينة) " ([3]) .

وقد صبر **رسول الله** فلم يهاجر إلى المدينة إلا بعد أن هاجر أصحابه جميعاً فانتظر أمر ربه. وتذكر **كارين** أن **الرسول** صلى الله علية وسلم خرج من بيته ليلاً من باب خلفي لكن الواقع أنه خرج أمام نظر المشركين المتربصين له، لقد خرج في حماية ربه. ولم يسلك الطريق المعتاد بل سلك إلى الجنوب (اليمن) ،ثم إلى تهامة على شاطئ البحر الأحمر، ثم إلى الشمال في طرق لم تعهدها القوافل. وكانت رحلة الهجرة شاقة واصل فيها **الرسول** صلى الله علية وسلم الليل بالنهار. تقول **كارين** : " كانت رحلة خطرة لأنه لم يكن فقط مهدر الدم بل كان مطلوباً حياً أو ميتاً " ([4]) .

وتذكر المؤلفة أن اليهود والمسيحيين كانوا يتعبدون داخل مسجد قباء. وهذه معلومة مشكوك فيها. ودائماً تحاول المؤلفة تمييز اليهود، تقول : " الكثير من اليهود كانوا ودودين، وربما تعلَّم **محمد** صلى الله علية وسلم منهم الكثير "([5]). وهذا خطأ فادح لأن **الرسول** صلى الله علية وسلم يهتدي بوحي ربه عزّ وجل .

تقول : " لقد انزعج **الرسول** صلى الله علية وسلم من فكرة شعب الله المختار أو الاعتقاد بأن اليهود أو المسيحيين سوف يدخلون الجنة.. لكنه بقي مقتنعاً بأن هذه الأفكار الغريبة كانت انحرافات لقلة ضلت عن الاعتقاد الصحيح " ([6]) .

الجهاد في سبيل الله :

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٠٠ .
(٢) حياة محمد : هيكل : ٢١٥ .
(٣) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٠٢ .
(٤) المرجع السابق : ١٠٤ .
(٥) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١١١ .
(٦)محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١١٢ .

تبرر **كارين** للجهاد بالحديث عن وضع المسلمين في بداية الهجرة، وعدم استقرارهم وبحثهم عن مصدر للرزق. تقول : " كان موقع المدينة مناسباً للهجوم على قوافل مكة التجارية في طريقها إلى سوريا، وبعد وصول **محمد** صلى الله علية وسلم إلى المدينة بقليل بدأ في إرسال (عصابات) من المهاجرين في حملات للإغارة ... لقد كان الغزو حلاً طبيعياً في أوقات الشدة "(١). إن المؤلفة تفكر بعقلية غربية تحمل صورة مشوهة عن العرب البدو وتطبق ملامح تلك الصورة على **الرسول** الكريم صلى الله علية وسلم وأصحابه وهم أبعد ما يكونون عن ذلك الأمر. إن **الرسول** صلى الله علية وسلم نبي مرسل ليس هدفه – كما صّورته المؤلفة – إرسال العصابات بل الدفاع عن الإسلام والجهاد في سبيل الله .

إن المؤلفة تبين أن الحاجة الماسة اضطرت **الرسول** الكريم إلى الغزو وأن ذلك قد جاء في صورة جهاد حتى يبرر المسلمون لأنفسهم الأمر فقط. ويبدو حديثها مختلطاً ومتناقضاً،تقول : " لم يكن الغزو بحاجة إلى تبريرات نظرية في حياة عرب الصحراء وكان ينظر إليه على أنه ضرورة لا مفر منها أيام الأزمات " (٢) .

ويرد **هيكل** على المستشرقين الزاعمين بخروج غزوات إسلامية بهدف الربح " ذلك مما يقف الإنسان منه موقف التردد والتفكير فلم تكن سرية حمزة لتزيد على ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ولم تزد سرية عبيدة على ستين. وإنما قصد بها إفهام قريش أن مصلحتهم تقتضيهم التفاهم مع المسلمين (٣) .

يقول كارليل مدافعاً عن **الرسول** صلى الله علية وسلم : " أي فائدة لمثل هذا الرجل في جميع بلاد العرب، وفي تاج قيصر، وصولجان كسرى، وجميع ما بالأرض من تيجان وصوالجة ؟ وأين تصير الممالك والتيجان والدول بعد حين من الدهر ؟ إذن فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين ونعد موقفهم عاراً وسبة وسخافة وحمقاً ولنربأ بأنفسنا عنه ولنترفع " (٤) .

ورغبة **الرسول** صلى الله علية وسلم في السلام تتضح في غزوة بدر الكبرى إذ يتردد **الرسول** دون القتال حتى يوافق أهل المدينة عليه. كما أن أهل المدينة مثل أهل مكة لم يكونوا أهل بادية يعيشون على السلب والنهب وكان في طباعهم ما في طبع من يعيشون على الزراعة من حب الاستقرار مما يجعلهم لا يتحركون إلى قتال إلا لدافع قوي " (٥) .

وتخصص **كارين** فصلاً كاملاً من كتابها عن الجهاد والحرب في الإسلام. ويبدو فكرها مختلطاً في محاولة تفسير : لماذا كان على **الرسول** صلى الله علية وسلم الدخول في حرب؟ ويبدو هذا الفصل أساسياً في مفهومها عن الجهاد الإسلامي وهل هو إرهاب أم لا ؟ تقول : " إن **محمد** صلى الله علية وسلم اتخذ مسلكاً خطيراً، لقد رأى تلك الهجمات طريقة لحل مشاكله مع قريش ولقد اكتشفنا في حاضرنا أن في شن الحروب لتحقيق السلام هو مغامرة محفوفة بالمخاطر يمكن لقساوة المعارك أن تزلزل المبادئ الأساسية التي يتقاتل من أجلها المحاربون حتى أنه يصبح بغير مقدور أي من الطرفين المتقاتلين أن يزعم سعيه وراء المبادئ الأخلاقية " (٦). والمؤلفة بذلك الرأي تحاول إبعاد الغرض الأخلاقي عن الجهاد الإسلامي كي تجرده من الصفة المميزة وهي الصفة الدينية والهدف الأسمى، وتتحول به إلى مجرد حروب قبلية. تقول : " كان **محمد**

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١١٨ .
(٢) المرجع السابق : ١١٩ .
(٣) حياة محمد : هيكل : ٢٥٨
(٤) محمد المثل الأعلى : توماس كارليل : ترجمة : محمد السباعي : ٧٤ مكتبة النافذة : ٢٠٠٨ .
(٥) انظر : حياة محمد : هيكل : ٢٦٠ .
(٦) محمد نبي لزماننا : ١٢٠ .

صلى الله علية وسلم دائماً متلهفاً لجذب انتباه قريش " ([1]). ولم يكن هدف **الرسول** الكريم جذب انتباه قريش بل هو نشر الدين الإسلامي والدفاع عنه لأن قريشا بالفعل قد دخلت مع **الرسول** صلى الله علية وسلم في حرب نفسية وعدائية قبل هجرته إلى المدينة المنورة .

وهي تصف **الرسول** صلى الله علية وسلم بأنه " كان يتلمس طريقه خطوة بخطوة فلم يكن مثل بعض أصحابه المندفعين متسرعاً في مواجهة الأزمات ولكنه كان يأخذ وقته ليتدبر الأمور " ([2]) ومَنْ هذه صفته – كما أوضحت المؤلفة نفسها – لا يكون مؤيداً للقتال إلا عند الضرورة المُلْزِمَة .

وكان هذا شأنه صلى الله علية وسلم في غزوة بدر أولى غزوات الإسلام فقد شكَّلت تلك الغزوة أهم الأحداث في تشكيل الإسلام في بداية تاريخه، والمؤلفة تخلط بين غزوة بدر وأحد فتجعلهما غزوة واحدة. وتجد التناقض واضحاً في حديث **كارين** عن غزوة بدر. فهي تقول : " رفض **محمد** صلى الله علية وسلم أن يبدأ الهجوم .. لم يكن يريد لجنوده القتال "([3]). إذن فـ**الرسول** صلى الله علية وسلم جاء داعياً للسلام لا للحرب .

ويرى الغزالي أن المستشرقين الأوروبيين خاصة ينظرون إلى هذه السرايا والغزوات كأنها ضرب من (قطع الطريق). وهذه النظرة صورة للحقد الذي يعمي عن الحقائق. يقول : " وقد ذكرني هذا الاستشراق المغرض بما حكوه عن قمع الإنجليز لثورة الأهليين في إفريقيا الوسطى مستعمرة كينيا وهم يطالبون بالحرية لوطنهم قال جندي إنجليزي لآخر يصف هؤلاء الإفريقيين : إنهم وحوش، تصوَر أن أحدهم عضني وأنا أقتله !" ([4]). كما يقول : " القتال الذي شرعه الإسلام وخاض معاركه **الرسول** صلى الله علية وسلم وصحابته هو أشرف أنواع الجهاد والحروب التي اشتبك فيها الإسلام كانت فريضة لحماية الحق ورد المظالم وقمع العدوان " ([5]) .

ويرى توماس كارليل أن **الرسول** صلى الله علية وسلم " قد جاءهم من طريق الرفق والأناة فأبوا إلا عتواً وطغياناً، فليجعل الأمر إذن إلى السيف الذي أرادوا وليدفع عن نفسه وعن دعوته كل معاند ومحارب " ([6]) .

وقد نزل الأمر بالجهاد في قوله تعالى : **" أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ "** ([7]). وقد كانت الحروب معروفة في ديانات أخرى، ففي المسيحية يقول **هيكل** : " نجد في الإنجيل : (ما جئتُ لألقي على الأرض سلاماً بل سيفاً) ([8]) ويقول : " منذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا خضبت أقطار الأرض جميعاً بالدماء باسم السيد المسيح، خضبها الروم وأمم أوروبا كلها، والحروب الصليبية إنما أذكى لهيبها المسيحيون لا المسلمون " ([9]). وقد وقف اللورد (اللنبي) عام ١٩١٨ في فلسطين قائلاً : (اليوم انتهت الحروب الصليبية) .

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٢٠ .
(٢) المرجع السابق : ١٢٤ .
(٣) محمد نبي لزماننا :كارين آرمسترونج : ١٢٥ .
(٤) فقه السيرة : محمد الغزالي : ٢٥٠ .
(٥) المرجع السابق : ٢٤٣
(٦) محمد المثل الأعلى : توماس كارليل : ١٦ .
(٧) سورة الحج : آية ٣٩ .
(٨) حياة محمد : هيكل : ٢١٤ .
(٩) المرجع السابق : ٢١٦ .

يقول كارليل : " إن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحياناً فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالنار، لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظفارها فإنها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يهزم " (١) .

ويرى **توماش ماستناك** أن الحروب الصليبية كانت منذ بدايتها حرب الجماعة المسيحية ضد المسلمين مدفوعة بكراهية معممة للإسلام، وفي حين أن العدو بحكم التعريف هو الآخر فقد أطلق على المسلمين. يقول : " وتبدو صورة العدو المسلم محددة وثابتة بحدة مقارنة بالأعداء الآخرين"(٢).

ويوضح **ستيفن شيهي** مؤلف كتاب (الإسلاموفوبيا) الهدف الرئيسي للحروب الصليبية يقول : "تفضح الحملات الصليبية الرغبات العارمة من جانب النخب الأوروبية للقيام بعمليات نهب شامل لمراكز التجارة المشرقية ذات العائدات المالية والثروات الهائلة مثل صور، وعكا ،ويافا المصادر المباشرة والوحيدة لحرير الصين الأسطوري والشاي والتوابل والعاج والأحجار الكريمة بل والتحكم الكامل فيها .وقد تمَّ تحويل مسار الحملات الصليبية : الرابعة (١٢٠٢ - ١٢٠٤) والخامسة (١٢١٧ - ١٢٢١) والسابعة (١٢٤٨ - ١٢٥٤) عند الذهاب إلى الأرض المقدسة، واستهدفت بدلاً من ذلك غنائم القسطنطينية ومصر الأكثر ثراء ... ويمكن قول الشيء نفسه عما سمي بإعادة الغزو (الفتح) Reconquista والذي كان نتيجته تقليص مساحة أراضي الأندلس الإسلامية متسعة الأطراف وجعلها تقتصر على المساحة المحيطة بغرناطة بحلول ١٢٤٩م " (٣) .

والإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام ظاهرة كان لها ما يبررها عند الغربيين، فقد انتشر الإسلام بقوة في عهد **رسول الله** صلى الله علية وسلم ،وبعد وفاته في عام ٦٣٢ ازدادت هيمنة الإسلام الدينية والثقافية والسياسية زيادة هائلة، ففي القرن الثامن فتح المسلمون إسبانيا وصقلية، وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر امتد الإسلام إلى الهند والصين، وفي القرن السابع عشر أصبح العثمانيون خطراً يتهدد الغرب بأكمله (٤) .

ومما يؤكد رغبة **الرسول** الكريم عن الحرب أو الغزو الذي يصفه المستشرقون ،هو أسلوب حياة **الرسول** صلى الله علية وسلم وزهده وتقشفه. فهو لم يكن مهتماً بالدنيا بل عفَّ عنها وزهدها. لقد كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم يقود الغزوات بنفسه " وكانت كل مصيبة تصيبه يعقبها انتصار له وكان يبدو رابط الجأش إذا ما انهزم ومعتدلاً إذا ما نصر وهو لم يقس على أعدائه " (٥). يقول **هيكل** : " بلغ من زهده صلى الله علية وسلم أن كان في فراشه الذي ينام عليه أدم حشوه ليف ،وأنه لم يشبع قط ،ولم يطعم خبز الشعير يومين متتاليين ،وكان السويق طعام أكلته الكبرى ،وكان التمر طعام سائر يومه ،وكان الثريد مما لا يكثر له ولأهله تناوله، ولقد عانى الجوع غير مرة حتى كان يشد على بطنه حجراً " (٦).

يقول غوستاف لوبون : كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم يخصف النعل ويرقع الثوب ويلبس المخصوف والمرقوع. عن أبي هريرة قال : خرج **رسول الله** صلى الله علية وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتي على آل **محمد** الشهر والشهران لا يوقد في بيت من

---

(١) محمد المثل الأعلى : توماس كارليل : ١٨ .
(٢) السلام الصليبي : توماش ماستناك : ترجمة : بشير السباعي : ١٧٠:المركز القومي للترجمة :٢٠٠٩ .
(٣) الإسلاموفوبيا : ستيفن شيهي : ترجمة : فاطمة نصر : ١٩ : دار سطور : ٢٠١٢ .
(٤) انظر : الاستشراق : إدوارد سعيد : ترجمة : محمد عناني : ١٢٤ : رؤية للنشر : ٢٠٠٨ .
(٥) حضارة العرب : غوستاف لوبون : ١٠٦ : ترجمة : عادل زعيتر : الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٢٠١٢ .
(٦) حياة محمد : هيكل : ٢٤٥ .

بيوتـه نـار وكـان قوتهم التمر والمـاء وكـان **رسـول الله** صـلى الله عليـة وسلم يعصـب علـى بطنـه الحجر من الجوع .

ويؤكد ذلك كارليل، يقول : " كان صلى الله علية وسلم زاهداً متقشفاً في مسكنه ومشربه، وسائر أحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وكان يصلح نعله ويرفو ثوبه بيده " ([١]) .

وقد قضى عمره كله صلى الله علية وسلم في جهاد وكفاح ولم يسترح غمضة عين، يقول كارليل : " فحبذا **محمد** صلى الله علية وسلم من رجل خشن اللباس، خشن الطعام مجتهد في الله قائم النهار، ساهر الليل دئباً في نشر دين الله غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان " ([٢]) .

العدل ،والتسامح، والسلام :

اتصف **رسول الله** صلى الله علية وسلم بالعدل والتسامح وحبه للسلام، وقد نبع ذلك من طبيعة **الرسول** الكريم الوسطية المعتدلة. لقد كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم زوجاً وأباً وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم ويحارب ويصاب. يقول **مايكل هارت**: "هذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أومن بان **محمداً** صلى الله علية وسلم هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها " ([٣]).

وتشهد بدايات نشأة **الرسول** صلى الله علية وسلم بإيثاره قيمة (العدل). وحين اختلفت القبائل وقت إعادة بناء الكعبة على مّنْ يضع الحجر الأسود في مكانه واشتد الخلاف، رأى أبو أمية بن مغيرة المخزومي أن يحتكموا إلى أول من يدخل عليهم من باب الصفا فكان النبي **محمد** صلى الله علية وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا بحكمه. ولقد حكم فقال : هلم إلي ثوباً ووضع الحجر فيه وقال : ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب فحملوه جميعاً إلى ما حاذى موضع الحجر من البناء ثم تناوله من الثوب ووضعه بيده الشريفة في موضعه وبذلك حسم الخلاف ([٤]) .

ومن عدله صلى الله علية وسلم عمله مع أصحابه في بناء مسجد (قباء) بيديه الشريفتين. وعمله في بناء (الخندق) في غزوة الأحزاب، تقول **كارين** : " عمل **محمد** صلى الله علية وسلم بيديه بين أصحابه ضاحكاً ومنشداً معهم مما ساعد في ارتفاع المعنويات" ([٥]). إن العدل أساس الإسلام، وقد سعى كثيرون ممن دخلوا الإسلام وراء العدالة الاجتماعية .ويرتبط العدل بالتسامح وحب السلام. وهو ما عُرف عن **رسول الله** صلى الله علية وسلم في معاملته للآخرين سواءً كانوا مسلمين أو من ديانة أخرى فقد تسامح **رسول الله** صلى الله علية وسلم مع من آذاه من المشركين ومنهم سراقة الذي حاول كشف سرّ الهجرة ثلاث مرات متتالية في طريق الهجرة النبوية .

وقد عمل **رسول الله** صلى الله علية وسلم على توحيد المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة على أساس العدل والإخاء والمساواة. فقد آخى **رسول الله** بين المهاجرين والأنصار ووحَّد قبيلتي الأوس والخزرج في بوتقة الإسلام الواحدة وهو إنجاز لم يستطع فعله إنسان من قبل. تقول **كارين** : " كان المعنى الجوهري للهجرة أن يخلق المسلمون مجتمعاً مختلفاً وإحدى أفكار **محمد** صلى

(١) محمد المثل الأعلى : توماس كارليل : ٧ .
(٢) المرجع السابق : ١١٤ .
(٣) محمد أعظم الخالدين : مايكل هارت : ترجمة : أنيس منصور : ١١
(٤) انظر حياة محمد : هيكل : ١٤١ – ١٤٢ .
(٥) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ترجمة : فاتن الزلباني : ١٨٩ .

الله علية وسلم الأولى كانت نظام (المؤاخاة) حيث جعل لكل مكي أخاً من الأنصار "([١]). يقول **هيكل** : " يفترق أساس حضارة الإسلام عن كثير من سائر الحضارات. الإسلام يضع العدل إلى جانب الإخاء " ([٢]).

ومن أهم القيم التي كان صعباً على **الرسول** صلى الله علية وسلم إقرارها هي التسامح : " لأن روح الجاهلية القديمة ترسخت من قبل في قلوب المسلمين " ([٣]) لكن القرآن دعا المسلمين إلى العفو والصفح. قال تعالى : **" ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ "**([٤]). يقول مايكل هارت : " استطاع **الرسول** صلى الله علية وسلم لأول مرة في التاريخ أن يوحّد بين بدو شبه الجزيرة العربية المعروفون بشراستهم والممزقون فيما بينهم ويهديهم إلى الإيمان بإله واحد ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية " ([٥]) .

وإنه " لتبدو من المعجزات قدرة **الرسول** صلى الله علية وسلم على تحويل هذا المجتمع البدوي الذي كانت تمزقه العصبيات القبلية إلى أمة موحدة واعية بمكانها من التاريخ وبرسالتها التي قدّر لها أن تغير مسار البشرية كل ذلك في عشر سنوات فحسب، وهي حقبة لا تكاد تعد في تواريخ الأمم " ([٦]) .

وقد كان الإسلام واضحاً وصريحاً في إيثاره السلام على الحرب. قال تعالى مخاطباً **الرسول** الكريم : **" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "** ([٧]).

وقد أكَّد القرآن على المعاملة المتسامحة مع الأسرى في الحرب قال تعالى: **"فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً "** ([٨]).

وفي غزوة بدر أمر **رسول الله** صلى الله علية وسلم المسلمين بألا يقاتلوا بني هاشم وغيرهم ممن حفظ لهم معروفهم في حمايته. ولإيثاره صلى الله علية وسلم للسلام أراد أن يحج إلى مكة مع المسلمين وأمرهم ألا يحملوا سلاحاً وألا يبادروا إلى أي فعل هجومي " فقد كان **الرسول** صلى الله علية وسلم يريد العمرة مسالماً بدون سلاح في الأرض الحرام " ([٩]) .

ووافق **رسول الله** صلى الله علية وسلم على شروط صلح الحديبية مع قريش رغم أن المسلمين لم يبصروا الهدف منها. إن القرآن رسَّخ فيهم قيمة أنه من أجل إحلال السلام على المسلمين أن يقبلوا جنوح عدوهم للسلام " ([١٠]) .

وتحللَّ **كارين آرمسترونج** الموقف بقولها : " لقد كان فيما أنجز في الحديبية أبعد نظراً من أي شخص آخر، لم يكن يستسلم في ضعف بل كان يعرف تماماً ما هو بصدد إنجازه، لقد كان يتحرك في اتجاه حل سياسي وديني لم يسبق له مثيل في بلاد العرب " ([١١]) .

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٠٦
(٢) حياة محمد : هيكل : ٢٤٤ .
(٣) محمد نبي لزماننا : كارين : ١٠٨ .
(٤) القرآن الكريم : سورة فصلت : ٣٩ .
(٥) محمد أعظم الخالدين : هارت : ترجمة : أنيس منصور : ٩
(٦) المدائح النبوية : محمود علي مكي : ٢
(٧) سورة الأنفال : ٦١ .
(٨) سورة محمد : ٤
(٩) محمد نبي لزماننا : كارين : ١٦٤ .
(١٠)محمد نبي لزماننا : كارين: ١٦٨ .
(١١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٧٠ .

تقول **كارين** : "ليس المسلمون رجال حرب ولكن رجال حلم، تدعوهم روحهم للسلم واللين وتحمل الأذى، يتحالفون بذلك مع اليهود والمسيحيين أهل الكتاب " ([١]). إن المؤلفة تنسب للمسلمين صفة (السلم) ثم تأبى أن ينفردوا بتلك الصفة فتجعل اليهود والمسيحيين كذلك فليس للمسلمين ميزة في ذلك. ولكن هل مايفعله اليهود الآن بالمسلمين نوع من السلم ؟

وهو أسلوب تتبعه المؤلفة فهي ما تلبث أن تصف **الرسول** صلى الله علية وسلم بصفات إيجابية حتى تدس فيما بين السطور ما ينافي تلك الصفة أو يشكك فيها أو ينسبها إلى الديانة المسيحية أو اليهودية. وذلك ليس غريباً على العديد من المستشرقين فنجد هاملتون جب في كتابه (وجهة الإسلام) يمدح الدين الإسلامي ويعدد فضائله ثم يقول : " لقد عرفنا منذ زمن بعيد أن الرأي القديم القائل بأن الإسلام خرج من بلاد العرب في صورة كاملة ثابتة هو رأي زائف ليس فيه إلا طرف الحقيقة فقط... إن الامر ينتهي إلى ما يمكن أن نسميه مجموعة الأديان الغربية ومجموعة الأديان الشرقية : الهندية والصينية "([٢]) .

تقول **كارين** : " مثَّلت الحديبية علامة تحوّل، ظهر الصلح في البداية غير مجزٍ لكنه فتح أبواباً جديدة للإسلام، قبل الصلح لم يكن هناك من يستطيع أن يناقش الإسلام بطريقةٍ عقلانية بمعزل عن مناخ الحروب وماتستثيره من كراهية وأحقاد لكن الآن بعد الهدنة يتقابل الرجال في سلام ويتحاورون ويتجادلون " ([٣]). وقد تسامح **رسول الله** مع الديانات الأخرى وعَلَّم المسلمين ذلك ونفى عنهم التعصب والتعالي .

لقد وجد **رسول الله** صلى الله علية وسلم في المدينة المنورة " يهوداً توطنوا ومشركين مستقريين فقبل عن طيب خاطر وجود اليهودية والوثنية وعرض على الفريقين معاهدة "([٤]). ونصَّت المعاهدة على أن حرية الدين مكفولة للجميع. يقول الغزالي : " لقد كان **محمد** صلى الله علية وسلم أهلاً لأن يحب وما تعرف الدنيا رجلاً فاضت القلوب بإجلاله وتفانى الرجال في حياطته وإكباره مثل ما يعرف ذلك لصاحب الرسالة العظمى **محمد** بن عبد الله عليه الصلاة والسلام " ([٥]). يقول توماس كارليل : " كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم سهل الجانب، جمّ البشروالطلاقة ،حميد العشرة، بل ربما مازح أصحابه "([٦]). والمعروف أن الإسلام دين تنتفي فيه العنصرية الموجودة في بعض البلدان الآن. فعندما وقعت الحرب بين اليابانيين والأمريكيين، كان التحيز العنصري ضد اليابانيين الأمريكيين على أشده ([٧]) .

وفي عام ١٨٣٠ تمَّ نقل عشرين مليون أفريقي أسود من ساحل إفريقيا الغربي للإتجار بهم عبيداً، توفي منهم مليونان على الأقل أثناء شحنهم من إفريقيا إلى أمريكا ([٨]). يقول الغزالي : "لقد جاء **رسول الله** صلى الله علية وسلم إلى المدينة فمدّ يده إلى اليهود مصالحاً وتحمل الأذى مسامحاً حتى إذا رآهم مجتمعين على التنكيل به ومحو دينه استدار إليهم وجرت بينهم الوقائع " ([٩]) .

ويرتبط ذلك كله بمفهوم الآخر في الإسلام. تقول **كارين** : " لم يعد الكريم الحقيقي هو المغالي في حب القبيلة لدرجة العدوانية على الآخرين. ولكنه ذلك الذي يملأ قلبه بتقوى الله

---

(١) المرجع السابق : ١٧٢ .

(٢) وجهة الإسلام : هاملتون جب : ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة : تقديم مصطفى لبيب : ١٢ : المركز القومي للترجمة: ٢٠٠٨ .

(٣) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٧٣ .

(٤)فقه السيرة : الغزالي : ٢١٣

(٥) المرجع السابق : ٢٣٢

(٦)محمد المثل الأعلى : توماس كارليل : ٧

(٧)الإسلاموفوبيا : ستيفن شيهي : ١١ .

(٨)المرجع السابق : ٢٨.

(٩) فقه السيرة : الغزالي : ١١٢.

ومخافته. لم يعد غرض القبيلة أن تستعلي على الآخر .. بل عليها أن تتعرف على الآخر بما يعني تفهم اختلافه " ([١]) .

ومن تسامحه صلى الله علية وسلم موقفه مع المشركين في فتح مكة : لقد عفا **الرسول** صلى الله علية وسلم عن مشركي مكة جميعاً ولم يجبر أحداً على الدخول في الإسلام. وعفا عن هند بنت عتبة رغم ما فعلته بـ حمزة عم **الرسول**. لقد سأل **رسول الله** صلى الله علية وسلم : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء ([٢]) .

وقد كان السلام الذي أسسه **رسول الله** قد هيأ للمسلمين تربة خصبة للإبداع، " فقد أتت الرسالة المحمدية مبشرة بعصر جديد وفكر جديد ... عصر يعتد بالعقل " ([٣]). لقد " تمَّ الحفاظ على الموروث الفكري لليونان وتوسيع مداه وتنقيحه من خلال بذل الجهود الثقافية والعلمية العربية والإسلامية ... وكان للغرب أن يتعلم في نهاية المكان كتابات أرسطو وأقرانه من خلال الجامعات الإسلامية " ([٤]) .

يقول ستيفن شيهي : " كان من المحال حدوث النهضة الغربية بدون الأسس التي وضعها العالم الإسلامي للعلوم " ([٥]). وتخطئ **كارين** حين تقول : " الشخصيات النموذجية عادة ما تسبق تسبق عصرها ومعاصريها فيتخلفوا عن فهمها. أما بعد موتها فيتفرق أتباعها كما انقسم البوذيون بعد وفاة بوذا " ([٦]) .

ولكن كيف يمكن المقارنة أو حتى الحديث عن **الرسول** الكريم صلى الله علية وسلم ثم الحديث عن بوذا ؟ إن المؤلفة لا تدرك أنها تتحدث عن خاتم الأنبياء : **محمد** صلى الله علية وسلم .

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٨١ .
(٢) انظر : حياة محمد : هيكل : ٤٢٦ .
(٣) المدائح النبوية : محمود علي مكي : ٣ .
(٤) الإسلاموفوبيا : ١٨ .
(٥) المرجع السابق : ٢٥ .
(٦) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٩٠ .

تكريم المرأة :

ارتفع **رسول الله** صلى الله علية وسلم بشأن المرأة وأكرمها، وعلَّم المسلمين والعالم أجمع كيفية معاملتها بالرفق واللين. فقد كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم يقول : (رفقاً بالقوارير). وفي زواجه من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن جميعاً حِكَمْ وعِبَر، ودروس للأمة الإسلامية .

وكانت أولى زوجاته : السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. وقد كانت " امرأة تاجرة ذات شرف ومال ... فلما بلغها عن **رسول الله** صلى الله علية وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً " ([١]). فلما حدثها غلامها ميسرة عن بركة وأمانة **رسول الله** في سفره وتجارته رغبت فيه زوجاً " فأرسلت صديقتها إليه نفيسة بنت منية فذهبت إليه وأشارت عليه بالزواج من خديجة فقبل، ثم تَمَّ الزواج المبارك " ([٢]) .

ومن قول عم **الرسول** صلى الله علية وسلم أبو طالب عنه : إن **محمداً** لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً، ونبلاً، وفضلاً، وعقلاً " ([٣]). وفي زواج **الرسول** الكريم من السيدة خديجة رغم فارق السن بينهما دليل على كذب الافتراءات التي أصدرها المستشرقون حول **الرسول** صلى الله علية وسلم :

- فقد مكث صلى الله علية وسلم حتى سن الخامسة والعشرين دون زواج .
- تزوج السيدة خديجة وهي أرملة بلغت سن الأربعين أي كانت تكبره بما يقرب عمره .
- لم يتزوج عليها **رسول الله** إلا بعد وفاتها وقد ناهز الخمسين من عمره أي أنه قضى معها نحو خمسة وعشرين عاماً فيها زهرة شبابه فقد كان **رسول الله** زاهداً في اللذات الدنيوية حريصاً على الغايات النبيلة ([٤]) .

وقد ولدت له : القاسم، عبد الله، زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة .

تقول **كارين** : " لقد كانت [تقصد السيدة خديجة رضي الله عنها] أول من اكتشف أصالة **محمد** صلى الله علية وسلم وقد أخلص لها العاطفة واعتمد على نصيحتها ودعمها وبعد موتها كانت بعض زوجاته تَغرْن من كثرة حديثه عنها " ([٥]) .

ويختلف **هيكل** عن المصادر الأخرى في سن **الرسول** صلى الله علية وسلم يقول : " لقد تزوج **الرسول** صلى الله علية وسلم خديجة وهو في الثالثة والعشرين من عمره وهو في شرخ الصبا وريعان الفتوة ووسامة الطلعة ومع ذلك ظلت خديجة وحدها زوجة ثمانياً وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين هذا على حين كان تعدد الزوجات أمراً شائعاً بين العرب في ذلك العهد " ([٦]) ولم يُعْرف عن **رسول الله** صلى الله علية وسلم قبل زواجه وبعده أنه كان ممن تغريهم النساء .

---

(١) السيرة النبوية : ابن هشام : تحقيق : السرجاني : ١٣٤ .
(٢) السيرة النبوية : رجب إبراهيم عبد العزيز : ١٠١ .
(٣) المرجع السابق : ١٠٢
(٤) السيرة النبوية : رجب إبراهيم عبد العزيز : ١٠٣ .
(٥) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ٣٨ .
(٦) حياة محمد : هيكل : ٣٢٩ .

لقد كانت خديجة رضي الله عنها " سند **محمد** صلى الله علية وسلم بما توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها " (١). تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ما غِرْتُ من امرأة ما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها .

يقول الغزالي : " كان **الرسول** صلى الله علية وسلم رجلاً شريفاً طاهراً لا تستهويه ولا تدنيه حاجة، رجلاً تقف كرامته الفارعة موقف النبل والتجاوز فما تطلع إلى مالها ولا إلى جمالها ،لقد أدى ما عليه ثم انصرف راضياً مرضياً " (٢). وقد عاشت السيدة خديجة مع **رسول الله** خمسة وعشرين عاماً كانت طوالها محل الكرامة والإعزاز. وقد كان موقف السيدة خديجة حين نزل الوحي على **رسول الله** من أشرف المواقف ،فقد " طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه من فضائل... وبهذا الرأي الراجح والقلب الصالح استحقت خديجة أن يحييها رب العالمين فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين " (٣) .

وتؤكد **كارين** أن تعدد زيجات **الرسول** صلى الله علية وسلم قد أثار نوعاً من سوء التفكير عند الغرب. وقد أخطأ العديد من المستشرقين أمثال : غوستاف لوبون الذي فسَّر تعدد الزوجات بـ رغبة **الرسول** الكريم في النساء. يقول : " لقد بلغ عدد من تزوجهن خمس عشرة امرأة " (٤). وقد كُنَّ رضي الله عنهن تسعاً. وذكَر أن **الرسول** صلى الله علية وسلم هو الذي حلَّل للزوج المسلم أربع زوجات وقد شرع الله سبحانه وتعالى التعدد لحكمة مهمة. كما تزوج **رسول الله** صلى الله علية وسلم من زوجاته لحكمة تعليمية للمسلمين كي يهتموا بالمطلقة، والأرملة، والمسكينة، والطاعنة في السن فلا يتركوهن دون زواج أو ينبذوهن ومما يدل على عدم معرفة المؤلف بسيرة **الرسول** الطاهر الكريم في معاملته لزوجاته قوله : "كان **محمد** قليل المسامحة نحو النساء مع ميله الشديد إليهن" (٥). وقد سبق أن بيَّنا أن **الرسول** صلى الله علية وسلم كان عازفاً عن شهوات الدنيا زاهداً فيها .

يقول توماس كارليل : " إن الإسلام خاطب أشرف ما في النفس لا أحطه والناس لم يقبلوه لسهولته كما يزعم أعداؤه من الغربيين وإنما قبلوه لما يثير في قلوبهم من دواعي الشرف والعظمة والإيمان والطهارة .. لقد كان تعدد الزوجات بلا حدود فجعله الإسلام أقصاه أربع وكان الطلاق بلا حدود فجعله الإسلام أقصاه ثلاث " (٦) .

يقول **كارين** : " كان **محمد** صلى الله علية وسلم زوجاً سهل المعشر، وكان يصر على أن تعيش زوجاته في حجرهن الصغيرة المتواضعة حياة اقتصادية ولكنه كان يساعدهن في أعمال المنزل، وكان يقضي حاجاته بنفسه، يصلح ثوبه ويرقع نعله " (٧) .

يقول **هيكل** : " كان **رسول الله** صلى الله علية وسلم في مهنة أهله يطهر ثوبه ويحلب شاته " (٨). وقد غضب عمر بن الخطاب ذات مرة لأن زوجته راجعته في الحديث، وعندما نهرها أخبرته أن النبي صلى الله علية وسلم يسمح لزوجاته بجداله (٩) .

---

(١) المرجع السابق : ٢٠٠ .
(٢) فقه السيرة : الغزالي : ٨٨ – ٨٩ .
(٣) المرجع السابق : ٨٩ .
(٤) حضارة العرب : غوستاف لوبون : ١١٠
(٥) حضارة العرب : غوستاف لوبون : ١١٢ .
(٦) محمد المثل الأعلى : كارليل : ١٩ .
(٧) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٢٩ .
(٨) حياة محمد : هيكل : ٢٤٤ .
(٩) انظر : محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٢٩ .

تقول **كارين** : " تفوق النبي صلى الله علية وسلم ظهر في دمج الحياة الخاصة بالعامة. وقد مثل هذا الدمج ضربة للمجتمع العربي الذكوري والذي لا يرضى إلا بالمحافظة على مثل هذه التفرقة بين الرجل والمرأة " (١) .

لم تكن النساء قبل الإسلام تستطيع أن تمتلك شيئاً في بلاد العرب فكل الثروات لدى ذكور العائلة. لكن ذلك تغيَّر بعد الإسلام وقد كانت المرأة قبل الإسلام جزءاً من أملاك الرجل وبعد وفاته تؤول إلى وريثه الذكر .

وتقر **كارين** : " جاء نظام تعدد الزوجات بمثابة قانون اجتماعي لرفع الظلم عن الأرامل واليتامى، وضمن القرآن للمراة نصيباً في الميراث وأوجب معاملة النساء بالعدل مع الامتناع عن سلبهن ممتلكاتهن، لقد أعطاهن القرآن حقوقاً لم تتمتع بها نساء الغرب إلا في القرن التاسع عشر، لقد كان تحرير المرأة مشروعاً عزيزاً على قلب النبي صلى الله علية وسلم " (٢) .

تقول **كارين** : " المساواة الحقيقية بين الرجال والنساء جاءت عن طريق الإسلام " (٣) فالقرآن يخاطب النوعين معاً : **" إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ "** (٤). وقد نزلت سورة كاملة عن النساء .

لقد كانت أوروبا المسيحية تزدري المرأة شرّ ازدراء ولم تكن تنظر إلى صلاتها بالرجل على أنها صلات الذكورة بالانوثة، بل على أنها صلات العبودية والرق. وقد مهَّد الإسلام للمساواة عن طريق فرض الحجاب بعد حصار بني القينقاع وفي ذلك احترام للمرأة. وأراد الإسلام تغيير نظرة الجماعة إلى ما بين الرجل والمرأة من صلات وأن يسمو بالإنسان بشكل عام. وجعل **الرسول** صلى الله علية وسلم لنسائه من المكانة ما لم يكن معروفاً قط عند العرب (٥) .

" ولم يعامل النبي صلى الله علية وسلم زوجاته كقطيع بل كُنَّ صاحباته وعادة كان يأخذهن في غزواته " (٦). لقد " حافظت المرأة على حقها في الطلاق وأصبحت تحتفظ بمهرها ولا يؤخذ منها حتى بالطلاق وبذلك تمَّ تأمينها وليس على اليتيمة أن تتزوج بالإكراه من الوصي أو القيم عليها كما لو كانت جزءاً من الممتلكات المتحركة " .

وتخوض المؤلفة في الحديث المختلط والخاطئ في قصص زواج النبي صلى الله علية وسلم من زوجاته. فمثلاً نجدها في قصة زواجه صلى الله علية وسلم من زينب بنت جحش ابنة عمه تصف **الرسول** الكريم صاحب الخلق العفيف بصفاتٍ لا تليق. وتؤيد أن طلاق زينب من زيد بن حارثة كان لرغبة **الرسول** صلى الله علية وسلم. والحقيقة أن جميع المستشرقين يركزون على هذه القصة متخذين منها ذريعة للهجوم على **رسول الله** صلى الله علية وسلم. ومعلوم الحكمة التي قُصِدت من هذا الزواج .

فقد جاء هذا الزواج لإبطال أمر التبني. وقد جاء في سورة الأحزاب – التي تورد المؤلفة آيات منها في القصة المذكورة – قوله تعالى: **" ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ "** (٧) وقوله تعالى: **" مَا كَانَ محمد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ "** (١).

---

(١) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٢٩ .
(٢) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٣٠ .
(٣) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٣٥ .
(٤) سورة الاحزاب : آية ٣٥ .
(٥) انظر : حياة محمد : هيكل : ٣٥٥ – ٤٤٨ .
(٦) محمد نبي لزماننا : كارين آرمسترونج : ١٣٦ .
(٧) سورة الأحزاب : آية ٥ .

وفي التفسير أن زيداً بن حارثة طلق زينب من غير تدخل من أحد " فلما انقضت عدتها قال **رسول الله** صلى الله علية وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي، فانطلق فأخبرها فقالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن " ([٢]).

وقد كانت زينب بنت جحش ابنة عم **رسول الله،** وكان يعرفها. لكنه زوجها لزيد بن حارثة كي يبين للمسلمين أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. يقول **هيكل** : " أما غرض المستشرقين فهي شهوة التبشير المكشوفة والخصومة القديمة للإسلام " ([٣]) .

يقول الغزالي : " إن حملة الرسالات الإنسانية المحدودة تعييهم هموم العيش ومشكلات الشعوب فلا يحظون بساعة راحة إلا ليستجموا قليلاً ثم ينهضوا لاستئناف اللغوب فكيف بصاحب الرسالة العظمى .. وما مكان المتعة في حياة رجل عزف عنها وهو شاب " ([٤]). وقد كانت زينب راغبة عن الزواج بـ زيد ورافضة له، فتدخل **رسول الله** صلى الله علية وسلم كي يؤلف بينهما. وقد أوحى الله لنبيه أن يدع زيداً يطلق زوجته وأن يتزوجها هو بعد ذلك فاعترى **الرسول** صلى الله علية وسلم هم مقلق لهذا الأمر الغريب. قال تعالى : **"وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا"** ([٥]) .

وفي حادثة الإفك تروي **(كارين)** القصة لكن في بعضها تحريف حيث تقول إن صفوان بن المعطل وضع السيدة عائشة على ظهر جمله ثم سار حتى لحق بالقافلة .

والصحيح أن السيدة عائشة قالت أنه قرّب البعير، وقال : اركبي .واستأخر عني، قالت : فركبتُ وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس. وقد نزل في سورة النور ما يبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها. قال تعالى : **"إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ"** ([٦]) .

وتقول المؤلفة عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنه حين توفي **رسول الله** صلى الله علية وسلم " وضعت رأسه برفق على الوسادة وبدأت في العويل واللطم على وجهها بالطريقة التقليدية ". وهو مالم يحدث لأن الدين الإسلامي نهى النساء عن اللطم والعويل. كما أن الإسلام كرّم المرأة وارتفع بها عن الأفعال غير المستحبة وأرشدها إلى كل ما من شانه عزتها ورفعتها في الدنيا والآخرة. فما بالنا إذا كانت السيدة عائشة زوجة النبي صلى الله علية وسلم فهي القدوة لنساء المؤمنين وهي أم المؤمنين المثل النسائي الأرقى الذي يقتدى به ويحتذى .

وقد كان زواج **الرسول** صلى الله علية وسلم من سودة بنت زمعة لحكمة، حيث كانت أرملة السكران بن عمرو أحد السابقين إلى الإسلام. فتزوجها **رسول الله** كي يعولها ويرتفع بمكانتها فذلك أمر يستحق من أجله أسمى التقدير وأجل الحمد ([٧]) .

وتزوج من زينب بنت خزيمة وكانت قد تخطت الشباب وتوفيت بعد زواجها من النبي بسنة أو سنتين وكانت زوجة لعبيدة بن الحارث أحد المستشهدين في بدر ([١]).

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

(٢) التفسير المبسط الكامل لسور القرآن الكريم، ملخص من تفسير الطبري جامع البيان : طه عبد الرؤوف مسعد وسعد حسن محمد : ٥٢٧ : مكتبة العلم الإسلامية : ط١ / ٢٠١٢ .

(٣) حياة محمد : هيكل : ٣٣٥ .

(٤) فقه السيرة : الغزالي : ٤٨٧ .

(٥) سورة الأحزاب : ٣٧ .

(٦) سورة النور : ١١ .

(٧) حياة محمد : هيكل : ٣٣٠ .

وتزوج من أم سلمة وهي أرملة أبي سلمة وذات عيال. وقد أخذ **الرسول** صلى الله علية وسلم على نفسه عبء تنشئتهم ورعايتهم .

إن معاملة **الرسول** : **محمد** صلى الله علية وسلم لأزواجه معاملة بلغت من السمو، لهي المثل الناطق على أنه لم يحترم المرأة أحد ما احترمها **محمد** صلى الله علية وسلم. ولم يسم بها إلى المكان اللائق بها ما سما بها **محمد** صلى الله علية وسلم[٢] .

---

(١) المرجع السابق : ٣٣١ .
(٢) حياة محمد : هيكل : ٣٣٦ .

الخاتمة :

يتضح من خلال هذا البحث أن قيم الدين الإسلامي تتمثل وتتجسد في شخصية **الرسول** صلى الله علية وسلم. فقد كافح كفاحاً جاداً في سبيل إعلاء كلمة الله، وصبر على الإيذاء المتعدد من قومه ومن اليهود وغيرهم. وقد سامح **الرسول** المصطفى وعفا عن كل من آذاه حين فتح مكة. وكان هدفه الوحيد هو نشر الرسالة الإسلامية. وقد أسس **الرسول** الكريم في مجتمعه الإسلامي قيم التعايش والتسامح والعدل وكان راغباً دائماً في السلام الذي ينادي به العالم الآن. وقد عامل **الرسول** صلى الله علية وسلم المرأة معاملة متميزة وكريمة شهد بها كل من تعرّف على سيرته العطرة .

إن سيرة **الرسول** صلى الله علية وسلم تعد في حدّ ذاتها مرجعاً للقيم العالية وإن شخصيته بما جمعت من صفاتٍ خلقية أرادها الله له لهي معجزة تدعو للتأمل. والقيم والمثل التي دعا **الرسول** الكريم إلى تأسيس المجتمعات عليها لهي القيم التي تضمن للعالم اليوم السعادة والسلام.

كما يتضح من خلال البحث أن قيم الإسلام الواضحة في شخص **الرسول** الكريم، يشهد بها المستشرقون حتى وإن حاولوا تزييف الحقائق. إن جمال صفاته صلى الله علية وسلم كالصبح الأبلج لا يشكك فيه إلا من غشيه الظلام الدامس فلا يستطيع الرؤية. وهنا يكون واجب المسلمين أقوى في الدفاع عن شمائل **الرسول** الكريم وضرورة إتباعه كما أمر واجتناب ما نهى عنه. قال تعالى : **" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "** .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- القرآن الكريم .
- حياة محمد صلى الله علية وسلم : محمد حسين هيكل – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٢ .
- محمد صلى الله علية وسلم نبي لزماننا : كارين آرمسترونج. ترجمة : فاتن الزلباني – الشروق الدولية – ٢٠٠٨ .
- السيرة النبوية : ابن هشام. تحقيق : محمد فهمي السرجاني – المجلد الأول – المكتبة التوفيقية – د.ت .

ثانياً : المراجع :

أ - المراجع العربية :

- رجب إبراهيم عبد العزيز : السيرة النبوية في القرآن والسنة : دار الطباعة المحمدية – ١٩٩٠ .
- شوقي ضيف : محمد خاتم المرسلين – دار المعارف. ٢٠٠٩ .
- طه عبد الرؤوف : التفسير المبسط الكامل لسور القرآن الكريم. ملخص من تفسير الطبري جامع البيان : مكتبة العلم الإسلامية – ٢٠١٢ .
- محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء – مكة المكرمة – ١٩٨٠ .
- محمد الغزالي : فقه السيرة : دار الدعوة – ١٩٨٩ .
- محمود علي مكي : المدائح النبوية – لونجمان – ١٩٩١ .

ب- المراجع المترجمة :

- إيرناندث، كروث : تاريخ الفكر في العالم الإسلامي - جـ١ – ترجمة : عبد العال صالح – المركز القومي للترجمة. ٢٠٠٩ .
- داود، عبد الأحد : محمد صلى الله علية وسلم كما ورد في كتاب اليهود والنصارى : ترجمة : محمد فاروق الزين - العبيكان – ٢٠١٠ .
- جب، هاملتون : ١- وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي : ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة – المركز القومي للترجمة : ٢٠٠٨ .

٢- دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة : إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد. الهيئة المصرية العامة للكتاب : ٢٠١١ .

- سعيد، إدوارد : الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة : **محمد** عناني – رؤية – ٢٠٠٨ .
- شهيي، ستيفن : الإسلاموفوبيا : الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين : ترجمة فاطمة نصر – دار سطور – ٢٠١٢ .
- كارليل، توماس : محمد المثل الأعلى : ترجمة : محمد السباعي : مكتبة النافذة : ٢٠٠٨ .
- لوبون، غوستاف : حضارة العرب : ترجمة عادل زعيتر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٢ .
- ماستناك، توماش : السلام الصليبي : الجماعة المسيحية والعالم الإسلامي والنظام السياسي. ترجمة : بشير السباعي. المركز القومي للترجمة – ٢٠٠٩ .
- النورسي، بديع الزمان : المعجزات الأحمدية : ترجمة : إحسان قاسم الصالحي. شركة سوزلر للنشر – تركيا – ٢٠٠٩ .
- هارت، مايكل : محمد أعظم الخالدين : ترجمة : أنيس منصور عن كتاب الخالدون مئة : نهضة مصر – ٢٠١٢ .

The Islamic values in prophet Mohamed(peace be upon him)

Biography

Mohamed husin hikal and Karin Armstrong

Comparative study.

The main point in this study is : to compare between Karin Armstrong and Mohamed husin hikal in their writing about our prophet Mohamed (peace be upon him) .

From islamic values we take : patient , struggle, modest .

There are two many point of view : wright and wrong . the study must separate between them .

In western writing we can found : prejudice. We can compare between opinions and study the true one .

Key words :

Prophet Mohamed – values of Islam – struggle – patient.